

ما أبلد خيال الإنسان !

نعمة من النعم في بعض الأحيان أن يعنى الإنسان ببلادة الخيال . وإلا فأين هى النفس التي تتخيل ما وراء ذلك الرقم أو ما وراء ذلك المليون والآلاف المائتين من المآسى والفواجع والآلام والأحزان والأهوال والأنفال ثم تقوى على مس تلك الصدمة إلا كما تقوى على مس التيار الصاعق من الكهرباء ؟

لكنها نعمة من النعم أن تبلغ بلادة الخيال ذلك المبلغ الذي لا يرى من وراء الملايين المقتولة إلا رقماً من الحساب

نقمة تجر إلى شتى النقم ، لأن الناس لو تخيلوا بعض ما يفتنهم أن يتخيلوه من أهوال الحروب وأنتقال الفواجع لبطلت منذ عهد طويل

فالهم لا ذلك الحس الذي يصمق كما تصمق الكهرباء ، ولا هذه البلادة الصماء التي تلحق الآدى بالهيممة العجاء

الهم ذلك الحس الذي يبكي لمصرع مليون يتخيلهم مصروعين كما يبكي لمصرع فرد واحد يراه بينيه ويعلم ما فى مصابه من شقاء لذويه ومحبيه

فهل نعلم ما للخيال من شأن فى تمثيل المصائب والثورة عليها والتمرد على مقترفيها فلا نفض عليه بالتنذية ولا نستكثر عليه مانسميه لهو البطالة وإزجاء الفراغ ؟

وكانما « المريح » مخلوق له طالع من طوابع السمود ، وجد لا يصيبه قلب الجدود

ففى كل عصر له رزق مسوق إليه على حسب ما يكون فى ذلك العصر من علم أو صناعة أو تدير

قيل إن الناس قد لطفت خلاقتهم فى العصر الحديث حتى لا يطبق أحدهم أن يبقير البطون ويبتتر الأوصال ويشهد اختلاج الأرواح الزهقة فى الأجساد الممزقة كما كانوا من قبل يصتمون قبل ألوف السنين

قيل هذا ولعله صحيح أو قريب من الصحيح ، ثم همنا أن زجر بعض الرجاء ، وهم المريح أن يقنظ بعض القنوط ، فأقبل العلم الحديث برزق جديد لتلك المخلوق المجدود : إله الحرب الذي

رقم ! ...

للأستاذ عباس محمود العقاد

—

مليون ومائتا ألف !

هذا هو الرقم فى الحساب ، وهو عدد الذين قتلوا فى الحرب الأسبانية الأهلية من رجال ونساء وأطفال ، ومن مقاتلين وموادعين . بل كان عدد القتلى من الجنود أقل من عدد القتلى الذين لم يجاروا ولم يحملوا السلاح ؛ لأن هؤلاء قد بلغوا ثلاثة أرباع المليون !

رقم ! ... وماذا فى الرقم من دلالة ؟ كل ما هنالك أن ألوفاً كثيرة أصبحت اليوم موتى وكانوا بالأمس أحياء

ألا يعرف الإنسان هذا من قديم الزمان ؟ ألا يعرف أن ألوف الألوف وملايين الملايين كانوا فى عداد الأحياء فأصبحوا فى عداد الأموات ؟

فماذا فى هذا الرقم الجديد ؟ وأى شىء فيه يستوقف نظر القارىء أو يوقه لحظة عن إتمام بقية السطور ؟

لكن كاتباً من الكتاب يعمد إلى واحد من هذه الرمم فيخلق حوله مأساة ، أو يسطر المأساة التي خلقتها الحوادث عياناً كما نجح ما يتخيل الخيال

يرينا إياد إنساناً له آمال ، وأباً له أطفال ، وقريناً له قرينة ، ومحباً له محبة ، وعدواً له ضئيلة

يرينا أطفاله عمراً جياغاً متشردين فى العراء وقد كان موضعهم من الحياة فوق مياه وبين أحضان

ويرينا الفتاة اللعوب التي كانت نظرة من عينيها أو لحة من بين أهدابها أملاً تملق به حياة الخاطبين ، فإذا هى جيفة يعرض عنها الناظر ، أو بنيكاً يتنلها الطريق

ويرينا على الجملة قلب إنسان واحد يتمزق بين هذه القلوب ، فإذا بصدر القارىء يخفق ، وبينه تدمع ، ورأسه تقيم فيه الخواطر ، وبالذات تضيق فى وجهه ، وبالرقم المهمل شيئاً مربعاً تقشمر له الأبدان وتجفل منه الأبدان .

أذره أبو العلاء بسوء المصير حين قال :

ولنار المريح من حدثان ألد همر مطف وإن عنت في اتقاد
فا أدركه التذير ؟

لأن الحرب الحديثة تحول بين القاتل وصرعاه فلا يرى ما هو
ساح من فتك وتمزيق وتمهيم

فإذا ركب متن الهواء وألق بالنار في العضاء ، فلا عليه بعد
ذلك أن يلمت في مكانه هتبه واحدة ليشهد الخراب والشقاء ،
ويسمع الصياح والبكاء ، ويندم على ما أساء ، إن ظن أنه أساء
أما الذي يرى الفجعية بعينه ويسمع الصيحة بأذنيه فليست
الرؤية بمأمنة له أن يصنع بأعدائه ما صنع به أعداؤه ، بل لعلها
حافزة له إلى الشر ومثيرة له إلى القصاص ، ومضيفة إلى رزق
المريح الذي خيفت عليه المسغبة في العصر الحديث : عصر الشعور
اللطيف والإنسانية المهذبة ، والرفق بالحيوان قبل الإنسان !

ولكل سم ترياق !

العلوم الحديثة قد حالت بين القاتل والفريسة ، ولكنها لم تحل
بينه وبين أشباحها وأطيافها
فإذا احتجبت عنه جرائر صنعه فهناك الصور المتحركة تعيدها
إلى عينه وإلى كل عين ناظرة كأنها ضمير النادم أو لسان التبكيت
والتعزير .

فهل في العلوم ترياق لسم العلوم ؟ عسى أن ينفع ذلك الترياق
إن صح أنه ترياق

فليس أبتع من صورة الحرب المكسوبة إلا صورة الحرب
المفقودة ، كما قال ولنتون ونحن نعلم من هو ولنتون .. هو كاسب
المعركة التي هبته أن يفرح بالنصر أحد إن لم يكن فيها سرور
لقائدها المنصور ، لأنه كان نصرأ على نابليون سيد المنصورين
والمهزومين

فإذا كان قصارى النصر أن يهون البشاعة فأخلق بالناظرين
الذين لا ينتصرون فيها ولا يهزمون أن يلمسوا كل ما فيها من
بشاعة مهذولة بغير تهوين ، وأن يقاوموا بشعور المقت والتفوق
ما أبطله الحجاب بين القاتل وصرعاه في حروب هذا الزمان

ولكل ترياق آفة !

نعم لكل ترياق آفة تفسد ما فيه من شفاء ، إن لم تعالجه يد
تحسن العلاج

من أين لنا أن الصور المعروضة على الناظرين تعودهم أن
ينظروها ولا تعودهم أن يفتنوها وينفضوا على آفتها ؟

من أين لنا أننا نشحذ الضراوة ولا نشحذ الرحمة بذلك التمثيل
والتقريب ؟

الأمر كله موقوف على طريقة تناول وطريقة التناق وطريقة
التعويد ، وذلك الذي يقف بالترياق الناجع بين الآفة والشفاء

تحدثت الأدبية الرحالة « روزيتا فوربس » إلى طاغية الروس
ستالين فوصفت له ما شهدت من صرعى المجاعة والتشريد وحاولت
أن تلمس ضميره من قريب أو من بعيد

فالتفت إليها سائلاً : كم قتيلاً مات في الحرب العظمى ؟

وأسرع الترجمان فقال : سبعة ملايين !

فماد ستالين يقول : سبعة ملايين ذهبوا لغير غاية معلومة .
أما نحن فنبنى حضارة جديدة ونقيم الإنسانية بأسرها على أساس
جديد ، فإذا يضير أن يموت في سبيل ذلك من يموت بالمجاعة
والتشريد ؟

لو كان ستالين يتخيل كل واحد من أولئك المالكين بالمرى
والجوع فيأخذهم مأخذ الفنان الزاوية لما أجاب ذلك الجواب ،
ولكنه يأخذهم رقماً في الحساب ، وليس للرقم نعيم ولا عذاب .
ولن تبطل الحرب ما دامت مصابير الأمم بأيدي الحاسبين من أمثال
ستالين عباس محمدر العقاد

تمهيد

للأمراض التناسلية تأثير واضح على الصحة العامة وعلى الحالة
العصبية لدى الأفراد وإهمالها يدعو لضاعفات كثيرة صعبة العلاج .

الدكتور حسنى أحمد بشارع ابراهيم باشا رقم ٦٧ بمصر

يالج هذه الأمراض بنجاح مضمون تليفون ٥٠٤١٤